

## الأزهر وبعثاته العلمية

للاستاذ محمود الشرقاوى



في عدد الرسالة الأخير ( ٣٩٠ ) كتب الأستاذ الدكتور محمد البرهى مدرس علم النفس والفلسفة بكلية أصول الدين مقالاً فيه صدق كثير ، كان عنوانه « شخصية الأزهر العلمية » وقد قات إن هذا المقال فيه صدق كثير ، وهذا أكبر ما يمكن أن يُمدح به كاتب في هذا الزمن ، وفي هذا البلد الذى فيه قول للصدق من أكبر العيوب ومن أكبر المواقف للذى يريد أن ينجح وأن يصل إلى ما يريد يصلك له كل طريق وقد أثار هذا المقال الجيد الصادق في نفسى طائفة من الخواطر أعتقد أن فيها — هى أيضاً — صدقاً كثيراً وفيها صراحة ، وهذا حسبي



عند ما طاد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراشى إلى مشيخة الأزهر منذ سنوات خمس ، كان من ضمن منهاجه الإصلاحى لتجديد الأزهر والتفكير الدينى بمتى للبحوث من علمائه ومن

أساتذته إلى أوربا ، وكان ذلك في رأينا أجراً ما أقدم عليه شيخ للأزهر وأعظم ما فكر فيه مصاح شرقى بمد الشاذلى باشا<sup>(١)</sup> لتقويم الحياة العلمية في الأزهر وتوجيه التفكير الدينى وجهة الحياة والنماء والإصلاح ، وتقويم هذه الحياة العلمية وتوجيه هذا التفكير الدينى وجهة الخير ، هما أمثان العمود وأرسخ الأسس للإصلاح الشامل في مصر والشرق

وعلى هذا الأمل المربض قابلنا وقابل المخلصون من المصلحين اختيار البعثة الأولى من هذه البعثات الأزهرية إلى أوربا ، وكانت بعثة فؤاد الأول إلى فرنسا وإنجلترا وألمانيا

وقام لوداءها فضيلة الشيخ الأكبر ومن خلفه العلماء والأزهريون ، ثم خطبها وخطبهم أنه سيجعل الأزهر وتجديده ونماء غرسه الإصلاحى فيه وديمة بين يدي هذه الطائفة المختارة من رجاله ومن أساتذته ؛ إذ يعودون من بعثاتهم وقد تلقحت ثقافتهم الأزهرية بلقاح جديد واستفادوا من جامعات أوربا طرائق تفكيرها ومناهج بحثها وخصائص إنتاجها العلمى

وكان جيلاً وكان حقاً ما تحدث به شيخنا الأكبر لو أن الأمور سارت إلى نهايتها كما بدأت

(١) الشاذلى باشا هو أول من نفذ فكرة إرسال البعثات العلمية من الأزهر في قرنتنا الحاضر

وأحسبه قال أيضاً ما معناه : والذى البليغ في أن العائلة بمعنى المولة أنها تدفعه إلى الكد والعمى ، ولولاها ما جاهد ولا تاجر ، فكانهم يعولونه . قال تعالى : « ولا تقفوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » . فقدم الأبناء على الآباء ، لأن الآباء بأبنائهم يرزقون ، أو كما قال ...

فمائلة إذا صحبحة من حيث الاشتقاق اللغوى

ومحولى بهذه المناسبة أن أطلب إلى أستاذنا الجارم بك أن ينشر أمثال هذه الباحث القيمة بما تعرض له في الإذاعة وليس أولى بها من صحيفة « الرسالة » حتى لا تضيق مثل هذه القرائد بدءاً فوق أمواج الأثير ، وأحسب الكثيرين من إخوانى المدرسين يؤيدوننى في هذا المطلب والله المستعان

مصطفى محمد إبراهيم

وتبرمه من محاربة الملين لهذه الكلمة الجلية للبلينة ومطاردتها من كراسات التلاميذ مع دورانها على الألسنة والأقلام أمدأ طويلاً ، فقد ذكر أنه وجد هذه الكلمة في شعر شعراء الدولة الأيوبية ( وإن كان نسى أن يسطينا بيتاً نذكر به الثورة الدائرة حول هذه الكلمة ) ...

ومما أذكره في تخرج الأستاذ الجارم بك هذه الكلمة قوله :

إن مائلة وزن فاعلة مشتقة من مال يعيل إذا انتقر ؛ فمائلة بمعنى مفتقرة ، وزوج الرجل وصناره مفتقرون إلى من يمولهم ويعونهم — حال الرجل أهله كقمام ومأنهم وأنفق عليهم ، فمائلة فاعلة بمعنى مفعولة أى مولة ، وإنما استعمل فاعلة هنا مكان مفعولة لتعرض بلاغى لا يخفى ، قال تعالى : فهو في عيشة راضية . أى مرضى عنها .

وقد سافرت بعوث الأزهر إلى أوروبا واستقر أعضاؤها في باريس وفي لندن وفي برلين بدرسون في جامعاتها . ومضت سنوات خمس عاد بعدها فريق من أعضاء هذه البعوث وقد أتم دراساته فيها ، وفاز بما قصد إليه من الألقاب العلمية والدرجات الدراسية

ومن قبل هذه البعوث أرسلت ثم عادت بعثة المرحوم الشيخ « محمد عبده » التي أرسلها الشاذلي باشا سنة ١٩٣١ إلى ألمانيا فدرست وقازت بما قصدت إليه من الألقاب والدرجات . وعاد هؤلاء وهؤلاء أساندة في الأزهر يشرفون على توجيه الفرق النهائية في كلياته وتخصصاته ، حتى قام بعضهم بتسائل عن شخصية الأزهر العلمية ، ويريد أن يضع في الميزان إنتاج كبار العلماء وأن يحكم على القيمة العلمية لما ألف جماعة كبار العلماء

\*\*\*

الأزهر محتاج إلى لفتح على جديد وإلى ثورة فكرية جديدة وإلى أسلوب من البحث العلمي قائم على الإخلاص للعلم وحده ، وعلى الشجاعة في سبيل العلم وحده ، وعلى حب الخير للعلم وحده والأزهر وحده . ولا يزال في الأزهر روح قوى راسخ من الرجعية والردة والمود لهمود للظلم والظلام . وما من أحد يستطيع أن يرفع للشعلة ولا أن يديم اطراد السير لهذه الخطوات البطيئة من خطى التجديد والإصلاح ، سوى أعضاء هذه البعوث التي أرسلها الأزهر من خلاصة رجاله ، ولهذا وحده أرسلهم وانتظروا حين غابوا ورجام حين مادوا

وأعضاء هذه البعوث العلمية التي فهمت الروح للملئ في جامعات أوروبا واستقام تفكيرها على طرائق البحث العلمي فيها ، هم الذين يعرفون ويقدرون ما هي الشخصية العلمية ، وما هو الاستقلال في التفكير ، وما هو النقد الإيجابي ، وما هي حرية البحث ؟ وهم الذين يعرفون ويقدرون مما شهدوا في جامعات أوروبا وفي حياة أهلها ما هي قداسة للفكر

فهم بما عرفوا وما قدروا وما أحصوا ثم التواة الطيبة والبذرة المباركة النامية لبث هذه الطرائق وهذا الروح العلمي في الأزهر.

وهم الذين تنبث من أفكارهم ومن نشاطهم ومن إخلاصهم لهذه الطرائق العلمية الجذوة الأولى لهذه الثورة الفكرية التي يحتاجها الأزهر ، والتي بها وحدها يأمن الأزهر وتأمين الحياة الدينية في مصر ما نحشاء من طغيان الرجعة وردة عهد للظلم والظلام . ذلك ما فهمناه وارتقبناه حين اختيرت للبعوث العلمية من رجال الأزهر ، ثم عادت لتفقد فيه للتلميعة من الرواد في حياة الإصلاحية الجديدة

فهل يرى الأزهريون أن هذه البعوث تكوّن فيه الآن « للبيئة العلمية » الجديدة ؟ ... وهل يرى الأزهريون أن لهذه البعوث طابعا علميا خاصا تتميز به عن أشياخها الذين ذهب هذ البعوث لتكفل بما ليس عند هؤلاء الأشياخ من فهم ومن ثقافة ومن تفكير ؟ ...

وهل يرى الأزهريون أن هذه البيئة العلمية الجديدة لها « مسكر خاص يتميز بنشاط خاص وبأسلوب خاص ، ويقصد في دراساته وفي إنتاجه وفي توجيهه التعليمي مقصداً خاصاً يقوم على حرية للبحث وقداسة للفكر والشجاعة في مواجهة ما يلقون من عنق « المسكر الآخر » القديم ؟ ...

وهل يرى الأزهريون أن هذه البيئة العلمية الجديدة قد اجتذبت حولها مدرسة خاصة من تلاميذها ومن مشايخها تكثرتهم جيش الحرية والتجديد في الأزهر وتمحون به نفسها وقوتها من جيوش الرجعية فيه ؟ ... وهي جيوش لها هجات ، ولها هبوب بمد كل سكون

نحن نسأل ولا نحكم . ولو أننا لا نرى دليلاً على أن البعوث الأزهرية ( بعثة الشيخ محمد عبده ومن عاد من بعثة فؤاد الأول ) قد أقامت في الأزهر مدرسة للتجديد خاصة ولا نهجت فيه منهجاً دراسياً ولا تأليفياً خاصاً ولا كت حولها مسكراً جديداً يرفع معها وبمدها شلة النور في الأزهر ، ولم يبد من آثار رجالها وإنتاجهم ما يدل على تميزهم على أشياخهم ، وقد ذهبوا ودرسوا في جامعات أوروبا لتكفل ثقافتهم بما ليس عند هؤلاء الأشياخ نحن لا نرى دليلاً ولا شبه دليل على وجود شيء مما ذكرناه

نفوسكم شجاعة ولا قوة لكي تكونوا منتجين ولا مفيدين  
وذلك قول أقوله لسديقي كاتب مقال « شخصية الأزهر  
العلمية » وإلى أئداده أعضاء البحوث الأزهرية من أوروبا

\*\*\*

وقد كانت بموت النهضة المصرية في أيام محمد علي الكبير  
وخلفائه سعيد وعباس الأول تكاد تكون في مجرعهما من طلبة  
الأزهر . تعلمت رجالها ثم عادوا فكانوا رواد الحياة الجديدة  
والحضارة الجديدة في مصر كلها ثم في للشرق كله  
ولكن الأزهر يبعث البعث من رجاله ثم يعودون إليه  
يرجوعم لنفسه حياة جديدة وحرية جديدة وتفكيراً جديداً  
فهل نجد عند رجال البحوث الأزهرية الجديدة هذه الحياة  
وهذه الحرية وهذا التفكير يبتونها بين رجاله وبين أهله ؟  
وهل نجد عند الأزهر نفسه ما يمكن لهذه البحوث أن تعمل  
وأن تنتج وأن تفيد ؟

ذلك سؤال ندع الجواب عليه لمن يجب ا

محمد الشرقاوي

ونحن عند ذلك أمام واحد من فرضين : أن تكون هذه البحوث  
لم تقدم شيئاً مما درست في جامعات أوروبا ولم ترتفع بتفكيرها عن  
أشياخها وعن زملاء أعضائها الذين لم يبعثوا ولم يدرسوا  
وهذا فرض بعيد يوشك أن يكون ممتنعاً لما رأينا  
وزي من تبرز هذه البحوث في دراساتها الجامعية وفي درجاتها  
العلمية التي نالتها في أوروبا وفي البحوث التي نالت بها ما نالت من  
الدرجات ...

أو أن تكون هذه البحوث العلمية قد أفادت من دراساتها  
الأوربية عقلية جديدة حرة وتفكيراً جديداً حراً ومنهجاً في  
البحث جديداً حراً . وهذا ما نراه ونعتقد به

وعند ذلك لنا أن نسأل : لماذا إذن كانت هذه العقلية  
الجديدة الحرة عقياً ، وكان هذا للتفكير الجديد الحر متوارياً ،  
وكان هذا المنهج الجديد الحر مهجوراً من هذه البحوث في دراساتها  
وإنتاجها وأثرها في نفوس طلابها ... ؟

لماذا لا يفيد أعضاء هذه البحوث بما أفادوا ولا يعملون  
ما تعلموا ... ؟

وهل يتوجه اللوم في ذلك لهم أم أين يتوجه ... ؟

يقول سديقنا الدكتور البهي في مقاله الذي فيه صدق كثير:

« قائل أن تنشر رسائل جماعة كبار العلماء فينا - لأن عملهم  
وحده أمام التاريخ وأمام الحكم المدل هو الأساس الذي يبنى  
عليه الآن للتقدير والاعتراف أو عدم الاعتراف بشخصية الأزهر  
العلمية - يجب علينا نحن الذين لم يصبحوا بمد من جماعة كبار  
العلماء إما أن نسي في أن نطلع غيرنا على أبحاثنا الشخصية ،  
وبذا نكون علماء ، أو نعود إلى تناول عمل الجامعيين بالنظر العلمي  
فنؤمن بما يدعونه أو ندلم على موضع الدعاية فيه »

ونحن نرد عليه ما سأل فنقول :

إلى أن نرى أثركم وإنتاجكم وتجديدكم وما جعلتم في الأزهر  
من بيئة علمية جديدة وثقافة جديدة وحرية جديدة في البحث .  
سنقول إنكم لم تفيدوا شيئاً مما تعلمتم ولا تميز لكم على من  
لم يبعث ولم يدرس في جامعات أوروبا ، أو أنكم لا نجدون من

لا يزال كما بعد الآن !

أحدث الأكتشافات العلمية في صحة الضم  
اليودي في عجيبة للأستاذ :

يؤيد كالكوليد

أطلب النشرة العلمية الخاصة من  
جلاهورمين صندوق بوسه ٢١٠٥ مصر

( س . ت ٠ ٢٢٧ )